أثر الإسلام في تنوع العمارة بالمدينة الإسلامية

The impact of Islam on the diversity of architecture in the Islamic city

سميحة ديفل *
[1] جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، samiha.difel@univ-constantine2.dz
Difel Samiha *
University of Constantine 2 (Algeria)

تاريخ الاستلام:2021/07/31 تاريخ القبول:2021/11/07 تاريخ النشر:2022/01/15

ملخص:

إن العمارة في أي مجتمع هي انعكاس للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والدينية، ولقد جاء الدين الإسلامي ليوضح ملاءمته التامة للحياة في المدينة في حقلي التخطيط والعمارة، فأثر بتعاليمه ونظمه على وجود عمارة لم تكن معروفة قبل في المجتمعات القديمة كما استحدث منشآت تلاءم الإنسان في إطاره البيئي والاجتماعي والاقتصادي ومتطلبات المعيشة في إطارها الإسلامي.

وكان للدين الإسلامي الأثر الواضح في تخطيط وتنوع العمارة بالمدينة الإسلامية، ومن هذا المنطلق جاءت مداخلتي لتبرز أهم التأثيرات التي جاء بها الإسلام التي برزت على تخطيط المدينة وتوجيه عمارتها بما يخدم الإنسانية، مستندين في ذلك على نماذج حية مازالت قائمة في العديد من المدن الإسلامية في المشرق والمغرب، وجاء الهدف من هذه الدراسة هو إحياء معالم المدينة الاسلامية وخصائصها والإضافات التي شهدتها في رسم صورة واضحة عن المدينة الإسلامية، لعلنا نجد فيها ضالتنا لما آلت إليه المدن الإسلامية الحالية من فوضى وتدهور

الكلمات المفتاحية: المدينة الإسلامية، الحضارة، العمارة، البناء، التنوع.

Abstract:

The subject of Islamic architecture is closely related to Islam’s teachings on family life and living style, as the family is considered the nucleus of society.

From this point of view, my intervention came to highlight the most important influences of Islam that have emerged on the planning of the city and the direction of its building to serve humanity, based on living models that still exist in many Islamic cities.

Keywords: Islamic City، Civilization، Architecture، Construction، Diversity.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

لقد كان المنطلق الأساسي للإسلام هو الحرص على كرامة الإنسان وحريته، واليه يرجع الفضل في تقديم أرقى مضامين الحرية والكرامة الإنسانية، وانطلق الإسلام في هذا من قول الله عز وجل ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾ (الإسراء، الآية70)، فالكرامة الإنسانية هي أساس الرعاية ، والرعاية سياج من الحرمة والعصمة والصيانة، تصون كل فرد في المجتمع أن يهون على الناس أو ينتهكوا حرمة من حرماته، وأكد القرآن الكريم على حق الفقراء وذوي الحاجة في مال الأغنياء ﴿**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾ (المعارج، الآيتان 24- 25)، وفي آية أخرى ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ (الذاريات، الآية 19).

فقد أجمل الرسول ﷺ صورة المجتمع المسلم كما يريده المولى عز وجل، وكما شرعه متكاملا برعاية أفراده فيقول (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**)، وفي حديث آخر (**مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)، فالمجتمع المسلم بناء متكامل متكافل لا يتخلى عن فرد من أفراده، ولا يرضى لأحد منهم أن يذل أو يهان.

وجاء هذا الموضوع لإعطاء نظرة شمولية لهذا الدين العظيم، وما أسداه الإسلام من توجيه عظيم للإنسانية لبناء الحياة ونظمها على نوع من الجمال يتفق مع روعة الخلق والكون، فالإسلام يشكل كيان الإنسان وشكل بمفهومه العمران الذي يعيش فيه.

إشكالية البحث: جاءت إشكالية الموضوع تتمحور حول: كيف كان تأثير تعاليم الدين الإسلامي في تنوع العمائر بالمدينة الإسلامية؟

التساؤلات الفرعية: ومن أجل الإجابة على الإشكالية الرئيسية للبحث كان لابد من طرح تساؤلات فرعية مساعدة تمثلت في: ما هو دور الإسلام في تنظيم العلاقة بين المجتمع وتنوع صروح العمارة؟ وهل تجسدت قيم التسامح والأخوة والمساواة في معالم تصميم العمارة ووظيفتها التي حث عليها الإسلام؟ وفيما تمثلت القراءات الاجتماعية والاقتصادية والدينية للعمارة في المدينة الإسلامية؟

المنهج المتبع في البحث: وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي السردي والمنهج التحليلي الذي ساعدنا في جمع المادة المتعلقة بالبحث وتحليلها، وتفسيرها واستخلاص النتائج منها.

الهدف من البحث: ونهدف من خلال هذه الدراسة الى إبراز تأثير العامل الديني في التنوع الذي تعرفه المدينة الإسلامية من منشآت معمارية دينية ومدنية وعسكرية، كما نهدف من خلال هذه الورقة البحثية الى إحياء معالم المدينة الاسلامية وخصائصها والإضافات التي شهدتها في رسم صورة واضحة عن المدينة الإسلامية، لعلنا نجد فيها ضالتنا لما آلت إليه المدن الإسلامية الحالية من فوضى وتدهور.

1. الإعمار في الإسلام

يحث الإسلام على عمران الأرض وتعميرها بالخير بما ينفع الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**﴾ (الملك، الآية 16)، وقال جلالة: ﴿ **ألم نجعل الأرض مهادا**﴾ (النبأ، الآية 6)، وقال: ﴿**ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ (البقرة، الآية 35).

وتعمير الأرض هنا بإحيائها واستثمارها وليس بالمضاربة عليها، وإحياء الأرض الموات (أنظر التعليق 1) إما بالبناء للسكن، أو العمل، أو الاستزراع، وهذا الأمر هو من مسؤوليات الفرد القادر على ذلك والمجتمع الذي يهيئ له السبيل إلى ذلك فيما يسمى بالخطط الإرشادية، التي تحدد فيها الطرق والمرافق والخدمات العامة في ظل الشروط البيئية التي تستند إلى المبدأ الإسلامي «**لا ضرر ولا ضرار**»، ومن أكثر الأدلة التي يسترشد بها في مجال العمران على مسألة إحياء الموات إقطاعات الرسول ﷺ الأرض الموات، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة جعل له أهل المدينة كل أرض لا يبلغها الماء يصنع بها ما يشاء، ومن هنا شغلت الأراضي الفضاء بالتكوينات المعمارية الجديدة من المنازل والمساجد وغيرها وكثر العمران وتنوع، فيتواصل عمران المدينة (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 101)، كما يعود أصل المسألة إلى حديث الرسول ﷺ (**من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق**) (بن حموش، 2000، صفحة 40).

فإحياء الموات من الأرض يؤدي إلى حركة عمرانية مستمرة ومزدهرة، ويجعل الاستفادة من الأرض بأقصى قدر ممكن، مما يؤدي إلى انخفاض سعرها وعدم احتجازها للمضاربة عليها (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 103).

كما أن التعمير يصحبه الاستيطان البشري في التجمعات العمرانية الجديدة، مرتكزا على مبدأ التوازن والتكافل الاجتماعي بين الطبقات، والجمع بينها في العمران دون تفرقة أو طبقية أو تمييز في الجنس أو اللون، ما داموا يتقون الله في أعمالهم، وفي أداء وظائفهم الاجتماعية، والعملية التي تتوافق مع إمكاناتهم وقدراتهم، قال تعالى ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**﴾ (الزخرف، الآية 31)، وقوله تعالى ﴿**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**﴾ (الأنعام، الآية 167).

هذه هي بداية النظرية في توزيع السكان بفئاتهم المختلفة على الأرض حيث تحدد لهم المرافق والخدمات العامة بالأسلوب الذي يحد من الأمراض الاجتماعية والصحية والأمنية (إبراهيم، 1999، الصفحات 15-16)، ويعمل على تفعيل مبدأ التكافل بين الطبقات، كما يحث عليه الإسلام، ويضع له الآليات والنظم لتحقيقه، والتكافل الاجتماعي يتبعه بالضرورة التكامل العمراني.

ويعني ذلك أن العمران في حركته ونموه، يتطلب أن يكون متماسك البنيان بلا فراغات تقطع أوصاله العمرانية أو الاجتماعية، الأمر الذي يتطلب منهجا خاصا في عملية التعمير المترابط والمتلاحم بحيث يتم البناء

على أساس الأفضلية لمن يسبق، ويكون عنده القدرة على التشييد، وينعكس هذا المبدأ بالتالي على نظام تقسيم الأراضي وتخصيصها على أن يكون التقسيم بني على أساس الوحدة.

ومن بين عناصر الإعمار أيضا شبكات الطرق والمرافق والخدمات العامة، التي يشارك المجتمع في بنائها وتهيئتها لخدمة الإنسان، وهو ما ينفق عليه من بيت مال المسلمين الذي هو مال الله الذي استخلف فيه الإنسان (إبراهيم، 1999، صفحة 17).

2. البحث عن الذات في تنوع العمارة الإسلامية

إن الإسلام هو منهاج حياة، ينظم حياة الفرد والمجتمع، بقيمه وسلوكياته ومعاملاته وشعائره وعبادته، حيث أن ما يفرزه الفرد أو المجتمع الإسلامي من عمارة تعبر بالضرورة عن هذه القيم والسلوكيات والشعائر، فارتباط الشكل المعماري بالمضمون العقائدي أمر أساسي في بناء عمارة المجتمع الإسلامي (إبراهيم، 1999، صفحة 8)، فأصبح الإسلام ونظمه وأحكامه هو المحور الأساسي الذي تدور حوله حياة المدينة بأسرها وبكل تفاصيلها وجزئياتها وبجوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتخطيطها وتركيبها العمراني (غرايبة، 2015، صفحة 184).

ومن هذا المنطلق شهدت الحضارة الإسلامية تشييد العديد من المنشآت، والتي هي في أوضح مفاهيمها رعاية الجماعة لأفرادها، وخصوصا المحتاجين منهم، فجاء الإسلام لينظم هذه الرعاية على أساس الترابط بين الفرد والجماعة، والتكافل بين الناس في سبيل الخير ويحث الناس على الرحمة والبر والعدل والإحسان، وكانت هذه المنشآت تؤدي خدماتها من ريع الوقف أو من بيت مال المسلمين أو صدقات المحسنين، فلقد لعبت مؤسسات الأوقاف دورا حيويا في بناء صرح الحضارة الإسلامية.

وتبنت الدولة المنهج الإسلامي في رعاية البلاد والعباد، والدفاع عن أراضيهم وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم، لذلك أثرت في التنوع المعماري الذي نجده في المجتمعات الإسلامية من عمارة دينية وخيرية ومدنية وعسكرية وخدماتية وغيرها. فالعمارة الإسلامية بتنوعها ليست في ثوبها الخارجي البسيط أو المزخرف، وإنما في مضمونها المستنبط من تعاليم الإسلام السامية (الفرا و جهاد الهسي، د.ت، صفحة 127).

لقد أدرك المسلمون أهمية الظاهرة الحضرية في نشر الدين الإسلامي، اقتداء بالرسول ﷺ، الذي بدأ بنشر دعوته في مكة المكرمة، ثم هاجر إلى يثرب التي أصبحت تعرف بالمدينة، فالمدينة كنمط حضري يسرت عملية انتشار الإسلام، مما كان له الأثر الواضح على المشهد الحضري للمدن القديمة من ناحية، وعلى المدن الجديدة التي اختطها المسلمون كالقيروان والبصرة والكوفة والفسطاط وغيرها من ناحية أخرى.

وقد اقتبس العلماء جملة من الآداب والمبادئ من الشريعة الإسلامية، ونادوا إلى تطبيقها واحترامها نذكر منها على سبيل المثال إعطاء الطريق حقها من حيث السعة والوظيفة والآداب، مما أدى إلى تنوع سككها وطرقها، وأزقتها، بين العام والخاص، بين الواسع والضيق، بين المنفتح والمنكسر.

وكانوا يعتمدون على الحديث النبوي الشريف (**لا ضرر ولا ضرار**)، الذي يعتبر أحد الأحاديث الخمسة التي يقوم عليها الفقه الإسلامي، وأصبحت قاعدة عمرانية، فتحت باب واسعا في فقه العمارة الإسلامية، وأثرت هذه القاعدة على حركية العمران (عزب، فقه العمارة الاسلامية، 1997، الصفحات 18-

19)، فكان لهذه التعاليم الأثر البالغ في نفوس المسلمين فأقبلوا على العمل وعلى الإنتاج، وإتقان العمل وتطويره مصداقا لقول الرسول ﷺ (**أن الله يحب إذا عمل العبد عملا أن يحسنه ويتقنه**) (العبيدي، 1987، صفحة 67).

فلما فتح المسلمون المدن القديمة تركوها على حالها، وأحدثوا ما يحتاجه الإسلام من بنايات، وتعاملوا مع بناياتها القديمة وفقا لأحكام الشرع التي قسمت البنايات إلى البناء الواجب، كدور العبادة والمساجد، وبناء الحصون والأسوار والقلاع للدفاع عن ديار المسلمين، والبناء المندوب كبناء الأسواق، والبناء المباح مثل الدور والمساكن، والبناء المحظور، كبناء دور المنكر كالمخمرات ودور البغاء والقمار، والبناء على المقابر، والبناء في أرض الغير وهذا النوع من الأبنية هو الذي أزاله المسلمون في المدن القديمة (عزب، فقه العمارة الاسلامية، 1997، الصفحات 37-38).

والعمارة في جميع العصور هي انعكاس طبيعي لمقوماتها الاقتصادية والحضارية والدينية، فإذا تعمقت في الدين الإسلامي الصحيح انعكس ذلك تلقائيا على المكونات العمرانية للمدن، وبالتالي على العمارة، كما أن المتفحص والمتمعن جيدا للعناصر المعمارية الإسلامية شكلا ومضمونا وموضوعا يدرك مبادئ تطبيق التعاليم الشرعية والقيم الإسلامية في أعمال البناء، وأن مفهوم العمارة الإسلامية لم يعد صالحا للتداول دون وجود الإسلام كحقيقة في البناء العمراني والنظرية المعمارية (ابراهيم، (إبراهيم، 1999، صفحة 07).

3. الإسلام وأثره في تنوع العمارة بالمدينة

إن الدارس لمكونات المدينة الإسلامية، يجد أنه مرتبط ارتباطا أساسيا وكاملا بالإسلام كمنهج في الحياة، وأي دراسة تتعلق بالمدينة الإسلامية ومكوناتها لا بد أن تضع في اعتبارها تشريعات وأحكام الدين الإسلامي التي ذكرها القرآن الكريم وفسرتها أحاديث الرسول ﷺ بكافة جوانبها وتفاصيلها (الفرا و جهاد الهسي، د.ت، صفحة 136)، حيث أن الشكل المادي للمدينة الإسلامية ينبع من القيمة المعنوية في هذه التشريعات على اختلاف عمائرها من دينية، ومدنية، وحربية عسكرية، ومنفعية خدماتية وغيرها. والتقيد بالوظيفة وهي ما عرفت به العمارة الإسلامية بتوافقها مع الوظيفة والمنفعة المبتغاة من المنشأة (بهنسي، 2003، صفحة 62).

فنجد في فنون العمارة الإسلامية وتنوعها مواصفات حضارية دينية تبدو واضحة في عمران المدن الإسلامية، حيث يحدد المشهد البصري للمدينة الإسلامية خصائص دينية روحية، تتجلى أولا في هيمنة المسجد الجامع الذي يقع في مركز المدينة، وتتحلق الأبنية حوله، فهو المركز الذي يشع المعاني السامية والقيم والثقافة، ممثلة بدور القرآن والحديث وبالمدارس والزوايا والبيمارستانات والمكتبات، والحوانيت، كما تقوم في أطراف المدينة الأسوار المنيعة، وقلعة لحماية السلطة، وحولها الأسواق المتنوعة.

فجاءت المدينة الإسلامية بشخصيتها الخاصة وهويتها التي تعرف بها دون غيرها، والمرتبطة بمكوناتها التي تشكل مقوماتها الروحية أو المعنوية، وهي لبها ومضمونها، وهي التي تصنع شكلها وتعطيها رموزها ولغتها، وتغمرها بمعانيها وتضبط وظائفها ومنهج حياتها (عشي، 2020، صفحة 95).

ففي ظل الإسلام وحكمه العادل تأسست وازدهرت مدن تاريخية عديدة كالكوفة والبصرة وبغداد، ودمشق والقاهرة، والرقة، والفسطاط، والعسكر والقطائع، والقيروان وفاس، ومراكش والمهدية والجزائر، كما وجدت مدنا متحفية بما تزخر به من تنوع في العمائر كاستانبول بمساجدها، ودمشق والقاهرة بعمائرها الإسلامية، وحلب وبخارى وسمرقند، ودلهي، وحيدر آباد، وقندهار، وبلخ، وطليطلة، وقرطبة واشبيلية، ومرسية، وأصفهان وتبريز وغيرها كثير (غرايبة، 2015، صفحة 184).

1.3. الإسلام وأثره في تنوع العمارة الدينية

ازدهرت دور العبادة وعمارتها قبل الإسلام وبعده، واستخدم المعماري فيها حيلا لا حصر لها لكي يضفي عليها المهابة والجلال، بل كانت الممرات الطويلة، والأعمدة الضخمة، والغرف السرية المظلمة، عناصر لا غنى عنها في هذه العمائر، فضلا عن الضخامة والسعة، وهذا كله من أجل إلقاء الرهبة في قلوب زائريها، حتى يدرك أنه أمام شيء ضخم مهول سيقف فيه أمام إلهه، لكن جاءت عمارة المساجد في الإسلام بسيطة، دون تكلفة تذكر، ودون عناصر تؤدي إلى إضفاء الرهبة، بل السكينة والاطمئنان، وهذا يعبر عن طبيعة الإسلام كدين لا يقر واسطة بين العبد وربه (عزب، فقه العمارة الاسلامية، 1997، صفحة 113). وأول هذه البنايات الدينية:

– **المساجد:** لقد شرع الله سبحانه وتعالى الصلاة لتكون صلة بين العبد وربه، ولتنهاه عن الفحشاء والمنكر (شلبي، 2012، صفحة 36) في قوله تعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ (العنكبوت، الآية 45). كما أن بناء المساجد ارتبطت فيه مقاصد الشريعة من حفظ الدين والنفس والعقل (أولمو، 2019، صفحة 98).

فبنيت المساجد بكثرة في المدينة الإسلامية، وهي من البناء الواجب في الإسلام، حتى أننا نجد لكل حي مسجده الخاص به، فأنشأت المساجد التي يرتادها عامة المسلمين لتلقي أصول الدين ومبادئه ولإقامة شعائره، ويؤدون فيه الفرائض الخمسة في جماعة لما في ذلك من فضل كبير قال ﷺ (**صلاة أحدكم في جماعة تزيد على صلاته في سوقه بسبع وعشرين درجة**) رواه البخاري، وقال عليه الصلاة والسلام (**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح**) –رواه الشيخان– (إبراهيم، 1999، صفحة 19).

ولم تحدد الشريعة الإسلامية نظاما وأسلوبا محددا لعمارة المساجد والبيوت (**أنظر اللوحة (1)**)، إلا أنها حثت الإنسان على العمل والعلم والإبداع، حتى يكون إنتاجه سويا ثابتا (بهنسي، 2003، صفحة 77)، و القرآن الكريم حث على العمل المسؤول النافع والقائم على العلم الذي لا حد له في قوله جلاله: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ (التوبة، الآية 106)، وقوله:﴿**وقل رب زدني علما**﴾ (طه، الآية 111)، وخص الله العلماء بمكانة في المجتمع في قوله تعالى: ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ (المجادلة، الآية 11).

وقد فرض الإسلام على المسلمين في يوم الجمعة من كل أسبوع صلاة جامعة، فبنيت الجوامع في وسط المدينة الإسلامية لتكون سبيلا للترابط، والتعارف، والتراحم، والتواصل، والتعاطف (شلبي، 2012، صفحة

36)، وسمي المسجد الجامع لإقامة فيه صلاة الجمعة، وجعل من شروط تخطيط المدينة الإسلامية أن يتوسطها جامع، وذلك يعود إلى المكانة التي يحتلها الإيمان في قلب كل مسلم، وأن المسجد الجامع يمثل العلاقة الترابطية بين كافة أنحاء المدينة، كما تحتل الكعبة مركز العالم الإسلامي، ويتوجه إليها المسلمون خمس مرات في اليوم لأداء الصلاة، فان المسلمين يتوجهون إلى المسجد الجامع في قلب المدينة لأداء الصلاة الجامعة (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 24)، فقد أذن الله أن ترفع المساجد فهي بيوت الله لقوله تعالى ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ (النور، الآية 36).

كما أن المسجد الجامع يكون قريبا من مركز النشاطات الاقتصادية كالأسواق فييسر للتجار اقام الصلاة في المسجد الجامع، أما مساجد الأحياء فكانت تقام فيها الصلوات الخمس المفروضة، وقد أكثر المسلمون من المساجد وبناياتها إتباعا لسنة النبي حيث كان مسجده بالمدينة المنورة في مقدمة الأعمال المعمارية التي قام بها (قرمان، 2007، صفحة 66).

فما إن وطأت قدماه الشريفتان المدينة حتى أسس مسجدا كبيت لله ومركزا للدعوة الإيمانية والحياة الفكرية (اسماعيل، 1994، صفحة 41)، وأيضا لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ النفس وتذكيرها بالخالق سبحانه.

وقد حققت عمارة المسجد التوازن الدقيق والصعب بين وجوده المعماري والفعلي، ووجوده المعنوي والإيماني، والرمزي (أولمو، 2019، صفحة 108). فكان دورها الأساسي يتمثل في إقامة فريضة الصلاة، ويحفظ فيها القرآن وتعلم الفروض الدينية، وتعالج مشاكل الناس والخلافات والصلح بين المتخاصمين، فكان مثل الوعاء الجامع للعب كافة الأدوار، فتجمع بها الزكاة وتؤدى فيها الصلوات يمسك ويفطر الصائم بها، وبها تقدم جميع النصائح والإرشادات لمفهوم الحج وأركانه وفضائله، وكان المسافر أو طالب العلم يجد الراحة والمأوى في الجامع، فكان مقر الشورى حيث يلقي فيه الخليفة خطبته التي يحدد فيها أركان سياسته في مباشرة الحكم وكان يتمتع بوظيفة القضاء والإفتاء (حساني و زيتوني، 2018، صفحة 40).

كما عرف نوع آخر من العمائر التي تقام فيها الصلوات وهي المصليات أقيمت لتأدية صلاة العيد أو الجنائز أو الاستسقاء تأكيدا لسنة مؤكدة حيث كان الرسول أول من أنشأ مصلى للعيد في المدينة المنورة، وكان يؤدي فيها صلاة الأعياد والجنائز والاستسقاء في مكان معين في العقيق، وأن المصلى خصص لهذه الصلوات، وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم شكل المصلى فهو عبارة عن رحبة من الأرض وهي فضاء لا حدود بنائية لها تحصرها ولا سقف يغطيها، وفي مرحلة لاحقة وعلى وجه التحديد في عهد الخليفة عثمان بنى للمصلى منبر من الطين، ومع انتشار العمران الإسلامي جرت العادة بإنشاء هذه المصليات عادة في ظاهر المدن الآهلة حيث لا توجد بيوت (عثمان، 2006، الصفحات 33-34).

-الأربطة والزوايا والتكايا: الأربطة والزوايا والتكايا مسميات لعدة منشآت، قامت بأدوار متفاوتة بالرعاية الاجتماعية لأفراد المجتمع من المساكين المعدمين والفقراء الزاهدين وطلاب العلم، وقد اختلفت دلالات المصطلح المطلق على هذه المنشآت من عصر لأخر ومن مدينة إلى أخرى ومن ذلك **الرباط**، فقد كانت مهمته في أول

الأمر الدفاع عن الأراضي الإسلامية فكان يقام على الثغور المتاخمة للعدو، فالرباط هو ذلك الحصن الذي يرابط فيه المتطوعين من المجاهدين في سبيل ابتغاء مرضات الله، وامتثالا لأمره قال تعالى: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ (الأنفال، الآية 61).

لذلك حرص المسلمون على بناء الأربطة في مختلف المدن والثغور، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية تغيرت وظيفة الرباط وبدأ يأوي الفقراء والمحتاجين فصار يبنى داخل المدن لغرض اجتماعي وهو الإيواء، فكان اهتمام الحكام المسلمين وتسابقهم في الأعمال الخيرية أكبر الأثر في زيادة عدد الأربطة في المدن (عزب، فقه العمران، 2017، الصفحات 479-480). وكان لفرض الزكاة على الأغنياء دور كبير في تصريف هذه الأموال فيما ينفع الناس من بنايات ومنشآت خيرية ونفعية، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ (الذاريات، الآية 19)، فإن الناظر إلى الزكاة وأثرها في المجتمع يدرك الحكمة من فرضها، وجعلها ركنا من أركان الإسلام، وفي المرتبة الثالثة بعد التوحيد والصلاة (شلبي، 2012، صفحة 46).

وكانت **الزوايا** كمنشأة مستقلة لكل منها مصلى أو مسجد وأماكن للإقامة (**أنظر اللوحة (2)**)، وكانت مسكنا للصلحاء من الشيوخ وتأوي الطلبة وهم غالبا من الفقراء وعابري السبيل وأبناء السبيل (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 485)، واهتمت بدرجة كبيرة بتحفيظ القرآن مما ساعد على حمايته من الضياع والاندثار والنسيان.

وتجنبا لأوساخ الأطفال وضوضائهم قد ظهر نوع من العمارة يسمى **الكتاتيب** يهتم بتحفيظ الأولاد القرآن الكريم على اللوح المصلصل، والقلم القصبي، يجلسون فوق حصير والشيخ يقوم بإملاء عليهم أجزاء من القرآن الكريم (حساني و زيتوني، 2018، صفحة 70).

أما **التكايا** فأنشأت لإيواء من لا عائل لهم وللعجزة وكبار السن، والأرامل من النساء إلى جانب الفقراء المتصوفة والدراويش والغرباء (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 486)، وكانت في بداياتها تشمل على قاعة صلاة وباحة، وداخل التكية غرف لاستضافة المسافرين، أو الذين من دون مأوى وسقيفة لا غنى عنها (ليفشيز، 2011، صفحة 84).

2.3. الإسلام وأثره في تنوع العمارة المدنية

لقد كان التنوع السكاني وتنوع نشاطاتهم وأغراضهم أثر على تنوع العمائر المدنية وما تتطلبه من وسائل الراحة والخدمات ولعل أبرزها:

-الدور والمساكن: وهي من البناء المباح مثل بناء المساكن، فقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ المقاصد الخمس وهي الدين، والعرض، والنفس، والمال، والنسل، وجعل الله أسباب مادية يقوم بها البشر كي يحققوا تلك المقاصد، ومن بين هذه الأسباب بناء المساكن والدور ليحفظ الناس فيها أنفسهم وأموالهم، وأعراضهم، وتقوم فيها الأسر فيبقى النسل الإنساني ملتزما بدينه مقوما مجتمعا (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 37)، وقد سمى الله البيت سكنا للدلالة على أنه بعيد عن كل ما يسبب للإنسان من ضرر وأذى مثل الضوضاء والحشرات وغيرها (أولمو، 2019، صفحة 101)، فالبيت يحقق استقرار ساكنيه وسكينتهم، قال الله

تعالى: ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم** ﴾ (النحل، الآية 80).

وقد خص الله سبحانه وتعالى الناس بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على من فيها من خارج، أو يلجوها بغير إذن أربابها، لئلا يهتكوا أستارهم، ويبلغوا في أخبارهم، فنرى هذا التأثير الإسلامي في واجهات المنازل التي تميزت بالبساطة والتقشف، وفي علاقة المنازل بعضها ببعض من خلال تجاورها، وفي توزيع وحدات المنازل من الداخل والعلاقة بين هذه الوحدات (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 271)، فتصميم المنازل كان يخضع منذ الوهلة الأولى إلى قيود وشروط إسلامية صريحة (حسن، د.ت، صفحة 2) (**أنظر الصورة 1**).

وإذا أنشأ حي جديد أو مسكن جديد، فهو يتم عن طريق التتابع في البناء، فان كثر عدد المارة في مكان ما فان هذا الطريق سيكون أكثر سعة، وسيمنع المارة فيه من البناء على حق الارتفاق، وحق المرور، أي بناء يضيق الطريق، وبذلك يزحف البناء، وتتجاور الوحدات المعمارية بجوار بعضها البعض إلى أن تستقر حدود الطرق تبعا لاستخدام المارة لها، وبهذا فان العلاقة بين الفرق الساكنة ترتبت واستقرت بحيازة الضرر (عزب، فقه العمارة الاسلامية، 1997، الصفحات 25-26).

كما كان لحقوق الجوار في الإسلام أثرها على العمارة المدنية، فقد كان الجار يستأذن قبل أن يشرع في البناء ومن مظاهر التنوع في العمارة هو إحياء الموات عملا بالمبدأ الذي أقره الرسول ﷺ، وذلك بالبناء في الأماكن الخربة وذلك ليس فقط أدى إلى كثرة البنيان وتنوعها بل دفع الضرر عن ساكنيها، لأنها في كثير من الأحيان تكون وكرا للصوص (عزب، فقه العمارة الاسلامية، 1997، صفحة 40، 42).

فإحياء الموات من الأرض أدى إلى حركية عمرانية مستمرة ومزدهرة، ويجعل الاستفادة من الأراضي بأقصى قدر ممكن.

وبناء البيوت للفقراء تقع على أفراد المجتمع، وذلك بان يتكلفوا بالمساهمة في إيوائهم في بيئة عمرانية تتوفر فيها الحد الأدنى من متطلبات العيش، ومساهمة الأغنياء هنا تكون مادية أو عينية بالتبرع بمواد البناء، فالتصدق بالمال يأتي من الزكاة وما يفرضه الإسلام على الأغنياء من صدقة ترد على الفقراء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ، وهو يوصي معاذ قبل سفره إلى اليمن (**ادعهم إلى شهادة لا اله الا الله وأني رسول الله فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**) (إبراهيم، 1999، الصفحات 33-34)، فكانت تجمع الزكاة والصدقات فتوجه إلى أعمال البناء كمساكن للفقراء.

-المدارس: (**أنظر الصورة 2**) وهي من البناء الضروري لحفظ العقل، ووجهت العناية لتلقي العلم بالمدارس والجامعات التي انتصبت فيها الكراسي العلمية في شتى التخصصات فقامت حولها حلقات دراسية وأبحاث علمية ومساجلات فكرية.

واهتمت المدارس بتعليم العلوم الدينية والدنيوية كالفلك والحساب وعلوم اللغة والآداب، وكان هدفها الأسمى هو نشر العلم والمعرفة بين الناس، عملا بالآية الكريمة ﴿**اقرأ بسم ربك الذي خلق**﴾ (العلق، الآية 1) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) رواه ابن ماجه، وقال أيضا: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) رواه البخاري (علاق و وآخرون، د.ت، صفحة 4)، وقد ساعد نظام الوقف على إنشاء المدارس وجعلها مؤسسات موقوفة والاهتمام بصيانتها ونفقاتها (عبدالستار، 1988، الصفحات 217-218).

المنشآت التجارية: تنوعت المنشآت التجارية في المدينة الإسلامية كالأسواق، والقياسر، والوكالات:

-الأسواق: نالت الأسواق وآدابها اهتمام الفقهاء المسلمين، فقد اعتبرت الأسواق وتخطيطها وإقامتها بالمدن الإسلامية من شروط تخطيط المدن الإسلامية (**أنظر الصورة 3**)، وهي من البناء المندوب في الإسلام، فأقر الإسلام النشاط التجاري فقامت له أسواق باختلاف أنواعها، وحرمت المعاملات الربوية ومؤسساتها.

وقد حددت شروط في تحديد حجم الأسواق فلا تزيد عن الحاجة فتنهار الأسواق وتبور البضائع، وألاّ تقل عن الحاجة فترتفع الأسعار (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 24)، فكانت الأسواق متنوعة حسب تخصصها، ولتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وهي دفع المضار، وسد الذرائع ، فقد حبب الإسلام التكسب والتجارة (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 219)، ووجدت أنواع من الأسواق داخل المدينة التي تلبي حاجات السكان اليومية ولا يكون فيها إضرار بصحة السكان من تلوث وضجيج وهي بعيدة نوعا ما من الحي السكني، وتكون بالقرب من المسجد الجامع أين الأسواق ومناطق النشاط التجاري (عطابي، 2014-2015، صفحة 172)، والنوع الثاني يكون خارج المدينة حتى لا يضر بساكنيها ضررها من تلوث وضجيج، ودخان وغيرها، كما جعل لأهل كل صنعة سوقا يختص بهم وتعرف صناعتهم فيه، لأن ذلك لقاصدهم أرفق ولصنائعهم أنفق (الشيرزي، د.ت، صفحة 8).

فنجد الأسواق العامة في الشوارع الرئيسة وأسواق الأحياء التي تلبي حاجاتهم اليومية، كما أن تجاور الأسواق المتخصصة تحكمه قواعد مستمدة من أصول التشريع الإسلامي، فنوعية المنشآت التجارية التي يمكن أن توجد بجوار بعضها البعض محكومة بالقاعدة الشرعية «**لا ضرر ولا ضرار**».

وهذا التخصص في الأسواق جعل فروعا وأنشطة تجارية أخرى تزدهر فقد انقسم الصباغون مثلا إلى ما لا يقل عن ست طوائف كل طائفة مخصصة للون معين (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 231).

-الحمامات: لقد كان للحمام أثر نفسي في حياة المسلمين في العصور الوسطى، هذه المنشأة التي كان لها دور اجتماعي وطبي وديني بارز، فقد حث الإسلام المسلمين على الطهارة والنظافة، فهو يطهر جسد الإنسان تطهيرا تاما، ومن هنا أتت الأهمية الدينية للحمامات، فقد كانت منتديات اجتماعية يتبادل فيها الرجال الآراء والمناقشات حول قضايا المجتمع كما أوضح بعض الكتاب قيمة الحمامات الطبية ومنافعها في أنها تشفي من الهرش والجرب، كما تشفي من النزلات الشعبية والزكام والحمى، وتضيف النضارة إلى بدن الإنسان (عزب، فقه العمران، 2017، الصفحات 204-208)، وكثرت الحمامات العامة في المدينة الإسلامية بسبب عدم توفر حمامات بكل الدور وخاصة دور الطبقات الدنيا في المجتمع (عبدالستار، 1988، صفحة 221)، فنجدها

بالقرب من المساجد حتى يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر قبل دخول المسجد للصلاة (سالم، 1959، صفحة 140) (**أنظر الصورة 4**).

ورغم أن الحمام دخيل على الإسلام، وأن العرب المسلمين الأوائل الخارجين من الصحراء لم يألفوا استعمال الماء الغزير لا قبل الإسلام ولا في صدره، ولكن تعاليم الدين الجديد، وفرائض الغسل والوضوء جعلتهم يبنون الحمام العام على شاكلة الحمام البيزنطي ، وأعطوه مكانة لم يحتلها من قبل، فكان عددها الحمامات العامة كثيرا جدا ، فالمدن الرومانية ما عرفت قط في أوج ازدهارها ذلك العدد الهائل من الحمامات العامة كما عرفته المدن الإسلامية وذلك لاختلاف الدور الذي أنشأ من أجله، فلقد نص الفقهاء على ضرورة وجوبها في المدينة الكبيرة (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 409).

لقد وجدت بعض المنشآت التي اعتبر بناؤها صدقة جارية احتسابا للأجر والثواب من الله تعالى، وهو أمر حث عليه الإسلام، ووضع له الفقهاء الأسس التي تتلاءم مع هذا النوع من المنشآت، ومن أمثلتها:

–البيمارستانات: يعتبر بناء البيمارستانات من الصدقات الجارية، التي يمتد ثوابها إلى ما بعد وفاة منشئها ولذلك حرص السلاطين والأمراء على إنشائها ، والأصل في هذا النوع من الأبنية بناؤها على قاعدة ، كلما دعت الحاجة والضرورة إليه، وهو من البناء الواجب، فقد سن الرسول ﷺ إنشاء مقر للعلاج والتطبيب، فقرر بعد رجوعه من غزوة الخندق وضع خيمة في المسجد للتداوي، وتأسى الحكام أهل البر والخير بهذه السنة، وسعوا إلى إنشاء البيمارستانات التي توفر العلاج لأهل المدينة والقادمين إليها، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة عليها فبلغت مستوا متقدما في العلاج والتطبيب (عبدالستار، 1988، صفحة 224)، وانتشرت البيمارستانات في الحضارة الإسلامية، وارتقت من حيث العمارة والخدمات المقدمة (**أنظر الصورة 5**).

–العمارة المائية: تعتمد الرؤية الإسلامية للماء على كونه أصل الحياة وهبة من الله، وشراب المعرفة، وللماء إضافة إلى هذا معنى تطهيري، لأنه يطهر المسلم خارجيا (جسده)، وداخليا (روحه)، كما أن إمداد الآخرين بالماء إنسانا كان أو حيوانا، يعد زكاة في الإسلام، فالمسلم يتطهر بالماء من الجنابة قبل الصلاة، وهذا يعطي الماء أهمية أساسية لذلك لم يخل منه منزل أو مكان أو شارع فكثرت البنايات التي القصد منها أن ينال المسلم الأجر والثواب مثل الأسبلة، والعيون، والآبار، والسدود وغيرها.

واعتبرت **السدود** من الفنون العمرانية والزراعية التي ازدهرت في العصر الإسلامي، ومن أبرز سدود الجزيرة العربية سدود الطائف التي تعود إلى العصر الأموي وكان يوجد بها سبعون سدا أثريا (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 357)، وقد ذكر المقريزي في فوائد الجسور في مصر " لولا إتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان، لقل الانتفاع بماء النيل كما جرى في زماننا هذا ، وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها ري البلاد التي بها مصالح العباد (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 357).

ومن أجل رصد حركة الفيضان أنشأت **المقاييس** لرصد حركتها، لذلك عدت المقاييس من المنشآت المائية الهامة التي اعتنى بها الحكام المسلمين، فقد شيد عمرو بن العاص غداة فتحه لمصر مقياسا بأسوان وآخر بدندرة (عبدالستار، 1988، صفحة 246)، وكانت تكتب على منشأة المقاييس الآيات القرآنية ﴿**وأنزلنا من**

السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض، وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ (المؤمنون، الآية 18)، والآية ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم**﴾ (إبراهيم، الآية 34).

كما نجد **قناطر المياه** وهي منشآت مائية تهدف إلى جلب كميات كبيرة من المياه من مكان بعيد إلى المدن والأراضي الزراعية، وأشهر القناطر المعروفة في التاريخ الإسلامي هي قناطر ابن طولون (عثمان م.، 1988، صفحة 244) (**أنظر الصورة 6**).

أما **الصهاريج** فهي أماكن لخزن المياه وهي من أهم الاحتياجات للتجمعات السكانية البعيدة عن الماء، وبذلك تضمن على حصولها على الماء للشرب والسقي، ويوجد منها العام والخاص، وقد شيدت فوق هذه الأخيرة منشآت مائية نتجت عن تطور العمارة في الحضارة الإسلامية ، كالأسبلة وأحواض سقي الدواب، ولعل أكبر مشروع حضاري خيري إنساني في بناء العديد من الصهاريج عرفته الحضارة الإسلامية، هو مشروع درب زبيدة الذي يسر طريق الحج بين العراق ومكة المكرمة، فأمرت زبيدة بحفر الآبار الكبيرة الواسعة، وإقامة الأحواض والصهاريج في كل مرحلة من المراحل الممتدة على طريق الحج من الكوفة إلى مكة والمدينة، على أن تبنى جميعها من قمتها إلى قاعها بالحجر والآجر المشوي والجص والملاط، لتوفير المياه للحجيج في الصحراء التي كان يموت فيها سنويا آلاف الحجاج عطشا، فحفرت الآبار وأقيمت الصهاريج (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 372).

–السقايات: وهي مواضع توفير مياه الشرب، وكان يطلق عليها اسم المزملة في بغداد، وكان هذا النوع من السقايات متوفرا بالأسواق، والمساجد، والمباني العامة، واهتموا اهتماما خاصا بعمارتها، وبما أن الماء في النهر مشاع للجميع ولا يجوز بيعه حتى يبذلوا عليه عملا في النقل والأحراز بالأوعية ليصبح سلعة يجوز بيعها، فقد كان الفقراء لا يستطيعون شراء الماء الصالح للشرب، فرأى بعض الفقهاء أن المياه المتوفرة في المساجد، والجوامع في الحباب وغيرها من الأواني هي من حقوق الفقراء دون الأغنياء لاستغناء هؤلاء بغناهم، أما ماء السقاية فيتساوى في الإفادة منه الفقير والغني على وجه العموم (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 377).

ويبدوا أنها تحولت مع تطور المدينة الإسلامية إلى منشآت مستقلة، أو ملحقة بغيرها من المنشآت الأخرى، فقد ذكر عن مدينة بغداد أن أهلها كانوا يقيمون الأحواض، ويعتنون بها عناية خاصة فيرفعون عليها عمدا من الرخام، ويعقدون من فوقها قبابا مغشاة بالآيات الموسومة بماء الذهب، فتوسعوا من اتخاذها للضرورة إلى المغالاة بزينتها على سبيل الترف والترفيه.

كما وجد نوع ثان من السقايات كان عبارة عن مبان واسعة تتخذ مسكنا للزهاد ومأوى للمرضى في ظروف خاصة، فضلا عن استمرارها بتوفير المياه للمقيمين فيها، وقد اهتمت الدولة من جهة والأفراد الموسرين من جهة أخرى بوقف هذه السقايات بنوعيها، مزودة بالأواني والكيزان وغيرها من الاحتياجات وضمنت صيانتها باستمرار كجزء من شروط وقفها (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 378)، يبتغون أجرا من الله سبحانه وتعالى فكانوا يتسابقون إلى فعل الخير ووقف مثل هذه الأعمال الخيرية، التي تعود عليهم بالأجر في حياتهم ومماتهم، وتخدم البشرية.

–العيون: هذه العيون كان مصدرها طبيعي إلا أن المسلمين كانوا يبنون عليها أبواب وجدران حتى يحافظوا على الماء وتوصل فيها قنوات لتصل إلى المساجد، والجوامع، والبيوت، والفنادق، مثل العيون التي كانت في مدينة فاس فقد أحصيت فيها ستمائة نبع كلها عيون طبيعية (عثمان م.، 1988، صفحة 244).

–الأسبلة: والمراد بالسبيل المواضع المعدة والمجهزة لسقي المارة في سبيل الله ولوجه الخير، وجاءت من فكرة الصدقة الجارية فقد روي عن أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**) (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 445)، وبناء الأسبلة من الأعمال الخيرية الجاري ثوابها على أربابها بعد الموت، مادامت باقية منفعتها وأعتبر الفقهاء عمارة الأسبلة من الصدقات الجارية على صاحبها ما دام فيها نفع، وأنشأت الأسبلة كمنشآت لتخزين الماء لتقديمه بعد ذلك للمارة لإرواء عطشهم، وتنافس الخلفاء والوزراء وحتى العامة من ميسوري الحال على إنشاء الأسبلة ليناولوا الأجر والثواب من عند الله، فكانت منها الأسبلة المستقلة كعمارة بحد ذاتها، والأسبلة الملحقة بالكتاتيب والعمارة الدينية، وتفنن المعماري المسلم في إنشائها وتخطيطها حتى ظهرت طرزا متعددة لها (عزب، فقه العمران، 2017، الصفحات 382-383) (**أنظر الصورة 7**) .

–أحواض سقي الدواب: وضع الإسلام مبدأ الرفق بالحيوان خلافا لما يظنه البعض من أنه مبدأ أوروبي النشأة حديث الظهور، فقد بنى المسلمون لذلك عمائر لرعاية الحيوان، وسقيه، واطعامه، مثل أحواض سقي الدواب والإسطبلات، وقد جاءت منفردة أو ملحقة بالعمائر الدينية والمدنية والتجارية والحربية، واتخذت الأحواض موضعا متميزا في العمائر بالواجهات الرئيسية لها ليسهل شرب الدواب، وبنيت بالحجر الفص النحيت الأبيض والأصفر والأحمر، وهو منحوت نحتا منتظما أملس مصقولا.

كما أن عشق المسلم للرياض والجنان، فالجنة التي تجري من تحتها الأنهار في العالم الإسلامي هي قبل كل شيء أسمى وعد بالسعادة والأكثر خلودا، ومثل الأندلسي الجنة في مدينة الزهراء التي يقال إنها كانت كالأسطورة، وبلغ الأمر في الاهتمام بالماء كعنصر جمالي في العمارة مبلغا أسطوريا كما يحكي الرواة (عزب، فقه العمران، 2017، صفحة 338).

3.3. الإسلام وأثره في تنوع العمارة الحربية العسكرية

جاء الإسلام بمفهوم يحفظ لنا ديننا وأنفسنا، فأثر ذلك على تنوع العمارة الحربية والعسكرية في المدينة الإسلامية، فأقيمت القلاع والحصون والخنادق والأربطة (**أنظر اللوحة 3**)، وصنفت ضمن البناء الواجب شرعا لحماية الإسلام وهي من مقاصد الإسلام (عثمان م.، 1988، صفحة 121)، لأن الإسلام حذرنا من خداع العدو ومكره وأن نستعد للحرب، ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل، قال عز وجل: "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**" (الأنفال، الآية 61)، فبينت هذه الآية الكريمة كيفية إرهاب العدو وإلقاء الرعب في نفسه حتى تخور قواه خوفا من قوة المسلمين، حتى لا يقدمون على حربهم فيسود السلام ويطمئن الناس على أموالهم وأنفسهم (شلبي، 2012، الصفحات 136-137)، وحتى تتم استعدادات المسلمين وتدريباتهم، وصممت ميادين وساحات خارج أسوار المدن،وأقيمت الأسوار والأبواب بالمدن الإسلامية لحمايتها.

الخاتمة ونتائج الدراسة:

من خلال هذه الدراسة البسيطة التي حاولنا فيها أن نبين دور الإسلام في تنظيم العلاقة وتنوعها في المدينة الإسلامية ، وساعدها على ذلك تشجيع الفقهاء على اعمار المدينة، وتنويع منشآتها بما يخدم الفرد والمجتمع، ويجلب النفع على الجميع، فصنعة الصانع في هذا الكون بديعة التكوين جميلة التنسيق، وأن التصميم فيه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على جمال الوظيفة، فكل شيء بقدر يؤدي وظيفته بدقة، وهو ما انعكس على العمران والبناء والتشييد في المدينة الإسلامية وتنوعها، فالإسلام غرس في نفوس المسلمين الدافع إلى الإتقان والإحسان في كل شيء، فكما خلق الإنسان في أحسن صورة فعليه تسوية عمله وإتقانه وتجميله ليصل إلى مرضاة الله جلا وعلا.

إن مبدأ الوسطية الذي جاء به الإسلام، دفع المعمار المسلم لتحقيق التوازن في عمارته، ولتحقيق الكفاية من وظائف السكن، والعبادة، والتجارة، والصناعة، دون إفراط ولا تفريط، لتحقيق الأنموذجية المثالية في العمل المعماري.

فمفهوم العمارة في الإسلام لا يحده زمان، ولا يحصره مكان سواء كان الإسلام بالصين أو إفريقيا لأن قيمه ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن الشكل هو الذي تغير بتغير المكان والزمان، الأمر الذي جعل من المضمون الفكري للعمارة يتجاوز الأبعاد الزمانية والمكانية والإنسانية، فهو شامل لكل الموارد الكونية، والتي تنتظم في إطار العلاقة التي حددتها الشريعة الإسلامية لتنظيم أصول التعامل الإنساني مع عمارته.

ونخلص إلى القول إن العمارة بتنوعها أثرت فيها تعاليم الدين الإسلامي، فحققت مقاصد التشريع الإسلامي وانسجامه مع شموليتها، فحفظت الأنفس، ومشاعرها، وكرامتها، وهذبت وجدانها من القبح والقلق، والخوف، والأخلاق الفاسدة، وخير تجسيد لهذا المفهوم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء يتوسط المدينة لكي يكون النواة والقلب للمدينة، فالعمارة بلا روح بناء لا أساس له، وأسس حضارة المسلمين الإسلام بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية إجمالا وتفصيلا.

كما جاء تخطيط العمائر وموقعها وفقا للمنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي، فقد نظمتها رؤية إسلامية مقتبسة من القرآن والسنة والأحاديث النبوية، واجتهادات الفقهاء والأئمة والعلماء والتنظيمات المختلفة. فكونت بذلك المدينة الإسلامية التي تعكس النظام العقائدي والاجتماعي والثقافي في نسيجها الحضري وتكوينها الفضائي، فجاء تفاعل الإنسان مع بيئته الحضرية تحت مفهوم عام وهو الإسلام، فامتزجت القوانين المادية بالقيم الروحية.

فنحن نلاحظ في أواخر العقد الماضي بأننا بدأنا نتجه نحو رؤية غربية لتكوينات مدينتنا، وتغافلنا المرجعية الإسلامية في الشريعة، والعقيدة، والأحكام التي تنظم العمران، كما تغافلت مؤلفات وأعمال العلماء من المعماريين المسلمين في الوطن العربي عن طبيعة المدينة بالنسبة للمجتمع الإسلامي فهي كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وحبذا لو ننتقل من المنهج الإسلامي في علوم العمران إلى مجال البحث العلمي، الذي يهدف لتحويله إلى قوالب عملية يمكن تطبيقها في الواقع العملي، وتغيير ما هو قائم من اللوائح والقوانين الخاصة بنظام البناء والتعمير التي استمدت مبادئها من الفكر الغربي، وهو ما أدى إلى تخلف الأوضاع العمرانية في المدينة الإسلامية الحالية، وأن نعود إلى الأصل الذي أنشأت عليه المدينة الإسلامية فهي الوعاء الإنساني الإسلامي، والغلاف الحضاري الذي يحدد الهوية الإسلامية وهي سمة عمران المدن الإسلامية.

الملاحق:

التعليق1: إحياء الموات: تعرف بأنها الأراضي التي لا مالك لها ولا ينتفع به من الأراضي لانقطاع الماء عنها أو لغلبته عنها أو لغيرها مما يمنع الانتفاع بها.

اللوحات:

1. الجامع الأموي بدمشق

2. جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة

اللوحة (1): عمارة المساجد

1. زاوية باش تارزي بقسنطينة

2. زاوية سيدي محمد بن عبد الرحمان بالجزائر

اللوحة (2): عمارة الزوايا

الصورة (1): عمارة المساكن (مساكن إسلامية من مدينة رّشيد بمصر)	الصورة (2): عمارة المدارس (المدرسة المستنصرية في بغداد)

الصورة (3): عمارة السوق (خان الخليل بالقاهرة)	الصورة (4): عمارة الحمام (حمام إسلامي بدمشق)

الصورة (5): عمارة البيمارستان (البيمارستان العضدي ببغداد)	الصورة (6): عمارة القناطر (القناطر الطولونية في مصر)	الصورة (7): عمارة الأسبلة (سبيل محمد علي بالقاهرة)

1.قلعة برج الحامة جنوب الأندلس	2.رباط المنستير بتونس
اللوحة (3): عمارة القلاع والأربطة	

البيبليوغرافيا:

أبو زيد شلبي. (2012). *تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي*. القاهرة: مكتبة وهبة.

العبيدي, ص. ح .(1987) .أثر الاسلام في نضوج الحرف اليدوية .*مجلة دراسات في التاريخ والآثار*.(3)

الفرا, م. ك &.,جهاد المسي, ش(د.ت). تخطيط المدن بين المضمون الاسلامي والمضمون الحديث (دراسة مقارنة).

أولمو, ف .(2019) .أثر المفردة الجمالية في الخطاب القرآني في تأصيل القيم الانسانية والحضارية .*مجلة المعيار* , *23*(46).

جمال الدين عبد الرحمان الشيرزي. (د.ت). *نهاية الرتبة في طلب الحسبة نسخة مخطوطة مصورة عن مكتبة المصطفى الالكترونية*.

حسن, ج. ع.(د.ت).موروث العمارة السكنية بالجزيرة العربية ودوره في عمارة الدور السكنية بالفسطاط مصر .*مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب*.(9)

خالد عزب. (1997). *فقه العمارة الاسلامية*. القاهرة، مصر: دار النشر للجامعات.

خالد عزب. (2017). *فقه العمران*. القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية.

خليف مصطفى غرايبة. (2015). منهجية الفكر الاسلامي في تخطيط المدينة العربية الاسلامية(ابن أبي الربيع أنموذجا). *المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، 8*(1).

رايموند ليفشيز. (2011). *تكايا الدراويش الصوفية والفنون والعمارة في تركيا العثمانية*. أبو ظبي، الامارات: أبو ظبي للثقافة والتراث.

سناء عطابي. (أفريل, 2014-2015). صورة الأزقة والأحياء السكنية في مدينة المغرب الأوسط من خلال النصوص الفقهية. *مجلة عصور الجديدة*(16-17).

عبد الباقي ابراهيم. (1999). *رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الاسلام*.

عبد العزيز سالم. (1959). العمارة المدنية بالأندلس. *مجلة الابتسامة*.

عبد القادر قرمان. (2007). المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني –دراسة أثرية– (ماجستير). *معهد الآثار*.

عثمان عثمان اسماعيل. (1994). *معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة والآثار والعمارة والفنون*.

عفيف بهنسي. (2003). *فنون العمارة الاسلامية وخصائصها في مناهج التدريس*. منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو.

علي عشي. (16 جانفي, 2020). نشأة المدينة الجزائرية في الفترة الوسيطة" تقديم وتعريف". *مجلة دراسات انسانية واجتماعية، 9*(1).

فريدة حساني، و شهيرة زيتوني. (2018). العمران في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830). *كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة*. الجزائر.

مبروك علاق، و وآخرون. (د.ت). *آداب وآحاديث وأدعية*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

محمد عبد الستار عثمان. (2006). *العمارة الفاطمية، الحربية، المدنية، الدينية،*. القاهرة: دار القاهرة.

محمد عبدالستار عثمان. (1988). *المدينة الاسلامية*. عالم المعرفة.

مصطفى أحمد بن حموش. (2000). *فقه العمران الاسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري*. دبي: دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث.